# الجغرافية الاجتماعية في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي
# (دراسة فكرية مقارنة)

أ.م.د.انتظار ابراهيم حسين الموسوي
كلية الاداب/ جامعة القادسية

تسليم البحث : ٢٠١٧/٨/٢٤ قبول النشر : ٢٠١٧/٨/٣١

**الخلاصة :**

يتضمن محتوى البحث دراسة بعض الاصول العربية الاسلامية للاهتمام بالمجتمع الإنساني ونظامه والسلوك البشري المتأثر بالبيئة الطبيعية وهذه الموضوعات هي ومضات من علم الاجتماع والجغرافية لتولد فرع جغرافي اصبح في الوقت المعاصر له مفهومه الخاص ومجاله ومنهجه وهو فرع الجغرافية الاجتماعية التي اخذت تنبثق تدريجياً من مفاهيم ومحتوى الجغرافية البشرية وهي لا تحيد عن مناهجها في الدراسة.

خلص البحث الى تأكيد وجود مثل تلك الدراسات في مؤلفات العرب المسلمين سواء أكانت المؤلفات كتب المسالك والممالك أم المعاجم أم كتب الاقاليم أم الجغرافية مهما كانت مسمياتها فهي تضم معلومات موسوعية وهذا كان دأبهم في التأليف يبغون فيه الكمال للمعرفة ، وقد اهتم الكثير منهم بدراسة العمران الحضري متمثلاً في الدولة والمدن وكيفية اختيار الموقع المناسب وربط اخرين منهم نشوء المدن بالحرف الصناعية واكد على انها قاعدة التحضر وباب الحضارة .

**المقدمة :**

كرم الله الإنسان بكثير من النعم منها العقل والذكاء والنطق بالكلمة والقدرة على الكتابة والتي كانت من اساسيات تكوين الثقافات وبناء الحضارات وتوريث المكتسبات وتطويرها وانعكست الخصال هذه على المجتمعات البشرية من حيث الطبيعة والأطر والنظم والتفاعل مع الظروف البيئية ، وقد كون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مجتمعاً رائعاً بعد أن طبق النواميس والأوامر الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم فبدأ بالنفس والأهل والاقربون صعوداً الى المجتمع والمدينة والدولة فكانت تلك الحقبة تمثل أعظم الحقب التي حفظت للإنسان كرامته وعزته. من هذا المنطلق جاء الاهتمام من قبل الجغرافيين العرب المسلمين في نقل هذه الافكار والنواميس في كتاباتهم

لتوضيح ان للمجتمع الاسلامي افكاره العظيمة التي ممكن ان تقدم للبشرية اسمى معاني الانسانية هذا من جانب ، من الجانب الآخر توضيح ما للمجتمعات الأخرى غير الاسلامية من خصائص غير جيدة لتعليل سبب نشر الدين الاسلامي في تلك البقاع من الأرض.

ان هذا الاهتمام ولد الكثير من الافكار الاجتماعية المتناثرة في مؤلفات الأدب الجغرافي العربي الاسلامي وان دراسة هذه الومضات تعد من محتوى دراسة الفكر الجغرافي العربي الاسلامي لتوضيح تلك الجذور الاولية لفرع الجغرافية الاجتماعية الذي يعد من الفروع الجغرافية الحديثة ولكن يثبت لنا البحث ان قصب السبق هو للعرب المسلمين ومؤلفاتهم الموسوعية.

## المحور الأول : الإطار النظري للبحث

### ١- اهمية ومبررات البحث

تنبع أهمية البحث من أهمية الجغرافية الاجتماعية على اعتبار انها فرع مميز في إطار الجغرافية البشرية يسلط الأضواء على المجتمعات البشرية من حيث التوزيع المكاني والخصائص والمؤثرات والتأثير والتفاعل بينها وبين البيئات الطبيعية من جهة ، ومن جهة أخرى إظهار ما قد طوره العرب بتجاربهم وابحاثهم العلمية وما اخذوه من مادة خام عن الاغريق وشكلوه تشكيلاً جديداً فالعرب في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة في معظم العلوم ومنها علم الجغرافية والذي تنبع منه فروع متعددة يزعم بانها حديثة ولكن نجد لها جذور عميقة في مؤلفات العرب المسلمين ومنها فرع الجغرافية الاجتماعية مما يجعل السبق لهم . اما مبررات البحث فهي من جانبين الجانب الأول قلة البحوث التي تخوض في تقصي المعرفة الجغرافية وكيف تطورت وماهية أدب الفكر الجغرافي العربي في مجال الجغرافية الاجتماعية ، اما الجانب الثاني ان معرفة اصول الفرع الجغرافي العلمي يحدد محتواه ومناهج بحثه وطرائق ووسائل الغور فيه علمياً فما يبنى على اساس قوي يولد بنياناً أقوى ويشمخ بعيداً ليصل الى المعرفة العلمية المستندة على المنهج العلمي السليم.

### ٢- مشكلة البحث

يمكن صياغة المشكلة التي يدور حولها محتوى البحث ليصل الى وضع الحلول المناسبة لها من خلال اتباع منهج علمي سليم على شكل تساؤلات فلسفية هي (هل توجد جذور تاريخية للجغرافية الاجتماعية عند العرب المسلمين ذكروها في مؤلفاتهم الموسوعية ؟ وما هو محتوى الموضوعات الاجتماعية التي تطرقوا لها؟ أكانت مقاربة لما يدرس كجغرافية اجتماعية أم حضارية أم ثقافية أم جميعها؟)

٣- فرضية البحث

تتخذ فرضية البحث حلاً مؤقتاً لمشكلة البحث المطروحة لعلها تصل الى التفسير والتوضيح فكانت فرضية البحث تشير الى ان للعرب المسلمين السبق في الاهتمام بهذا الفرع العلمي في مؤلفاتهم الموسوعية التي تضم في طياتها بذور لمجمع العلوم سواء أكانت رياضية أم طبيعية أم علوم انسانية اجتماعية.

٤- منهج البحث

اعتمد البحث لدراسة بوادر ظهور الجغرافية الاجتماعية في مؤلفات العرب المسلمين على منهج التحليل المقارن من خلال دراسة النصوص في مصنفات العرب الرئيسة ومن ثم مقارنتها وموازنتها مع الآراء المعاصرة في المراجع الأولية والثانوية بغية الكشف عن الاسهامات العلمية واظهار حالات الأبداع المتميزة ثم اعتماد المنهج النظامي (الاصولي) في تحليل الخصائص العلمية لفرع الجغرافية الاجتماعية بهدف تحقيق التوازن والتأهيل في الجوانب النظرية والتطبيقية.

المحور الثاني : الجغرافية الاجتماعية ومفاهيمها ومناهجها

١- مفهوم الجغرافية الاجتماعية

رغم عدم وجود تعريف محدد حتى الآن ، ألا أنه جرت محاولات متعددة لوضع تعريف للجغرافية الاجتماعية منها ((هي دراسة توزيع وتأثر المجتمعات الإنسانية وبيئتها الجغرافية وعلاقة توزيع الظاهرات الاجتماعية كالسكان والمدن والقرى بالظروف الجغرافية العامة للسكان))،[١] أو ((هي التنظيم المكاني للظواهر الاجتماعية من المنظور الاجتماعي الذي له أهمية كما هو الحال عندما ندرس الظاهرة الاقتصادية او السياسية)).[٢] بينما عرفها آخرين بأنها ((تحديد الاقاليم المختلفة على سطح الارض وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية وارتباطها بالبيئة بشكل عام))[٣] أو ((دراسة الانماط المكانية والعمليات الناجمة عن تفاعل مجموعة اجتماعية في زمن معين وحيز مكاني محدد))[٤]. معظم هذه التعريفات نجد لها بوادر في مؤلفات الجغرافيين العرب المسلمين ، ولكن هذه الومضات لا تسلك طريق واحد فبعضها يدرج في الجغرافية واخر في علم الاجتماع ولكن عملية الجمع بينهما تولد فرع الجغرافية الاجتماعية.

٢- مناهج الجغرافية الاجتماعية

تشترك الجغرافية الاجتماعية في منهجها من حيث المحددات التي ينبغي الالتزام بها بمنهج الجغرافية البشرية ومن أهم المناهج المستعملة في أي بحث جغرافي اجتماعي هي المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج الاحصائي الكمي والمنهج الاقتصادي والمنهج المقارن والمنهج

السلوكي،[٥] ولكل من هذه المناهج اسباب لاتباعها في البحث العلمي للظواهر الجغرافية الاجتماعية، إذ تبحث الجغرافية الاجتماعية في فهم الكيفية أو السلوك المكاني الذي ينتهجه الناس في المجتمع، باعتبار أن السلوك المكاني شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي الناتج عن حياة الفرد في البيئة.[٦] فالمنحنى في الجغرافية الاجتماعية هو وصف الأنماط المكانية، الناتجة عن عملية اتخاذ قرار مكاني في الحيز الذي نعيش فيه ليس بالنسبة للأفراد فقط بل للجماعات ايضاً، فالجغرافي الاجتماعي يهتم بدراسة الإقليم والمجتمع الذي لا يتأثر بمجموعة العوامل الاجتماعية فقط بل يعكس لنا شخصية المنطقة التي يوجد بها، وهذا نجده منعكس بشكل كبير من خلال ربط السكان ببيئتهم الطبيعية والتفاعل بينهما وهذا ما اكد عليه العرب المسلمين في مخطوطاتهم الفلسفية فهم دائماً ما يشيرون الى هذا التفاعل بين السكان والطبيعة سواء أكان ذلك في مراكز العمران في الحضر ام في الريف ، كما في كتابات ابن خلدون الذي أكد على الفوارق بين الحضر والبدو.

٣- التداخل بين الجغرافية الاجتماعية والجغرافية الثقافية

ان الحدود الفاصلة بين الجغرافية الاجتماعية والثقافية دقيقة جداً بحيث يصعب الفصل بينهما إذ يخلط بعض المتخصصين في العلوم الإنسانية بين الجغرافية الاجتماعية والجغرافية الثقافية ، مما يتطلب تسليط الضوء على تعريف الثقافة بمفهومها الشامل فهي تجمع أنساقاً من الأفكار والمثل العليا والمعتقدات والتقاليد والعادات وطرق التفكير والمهارات ووسائل التعبير والانتاج الفني لأنها تجسد لنا خصائص شخصية المجتمع.[٧] ان الجغرافية الثقافية تنتهي حيث يبدأ عمل الجغرافية الاجتماعية ، فمن الناحية الاجتماعية عرفت الثقافة على انها تشتمل على جميع النظم الاجتماعية والطرقة الاجتماعية التي يسير عليها الناس في حياتهم ، وبهذا فان الثقافة هي روح الحضارة التي تعني رقي العقل البشري بما وصل إليه من ابداعات في مختلف نواحي الحياة وبالتالي فالأدوات الحضارية تسعى الى الثقافة،[٨] مما تقدم نلحظ الترابط والتداخل بين الجغرافية الاجتماعية والجغرافية الحضارية التي تعد فرع منها وبين الجغرافية الثقافية وهي فرع من الاخيرة.

## المحور الثالث : محتوى دراسة الجغرافية الاجتماعية

تمثل الظاهرة الاجتماعية عنصراً مهماً من عناصر المكان الجغرافي وتوزيع هذه الظاهرة يعني ترتيبها أو تنظيمها وفق نمط خاص في حيز المكان حيث تتمحور بنية الجغرافية الاجتماعية على تفسير السلوك المكاني ضمن الإطار الاجتماعي الذي تشكله لنا الجماعة ، وعليه فأن الجماعات الاجتماعية هي النقاط المرجعية للدراسة في الجغرافية الاجتماعية ، لان هناك اليات تربط أفراد الجماعة مكونة من مجموعة القيم والعادات والتقاليد والدين والمبادئ والوضع الاجتماعي

والاقتصادي لأنه بدون هذه الآليات يتعذر وجود الجماعة ، وعليه فأن التركيز يكون على التفاعل بين افراد الجماعة. وان مهمة الجغرافي الاجتماعي هي دراسة توزيع هذه الجماعات والكشف عن العمليات التي ادت الى تركزها في مكان محدد او في أي مكان آخر في العالم ، والمجال الجغرافي قد يكون ضمن الحيز الحضري أو الريفي أو البدوي (البادية أو الصحراء)، ان هذا المحتوى قد اكد على دراسة السلوك الانساني اي الإنسان وعلاقته بالبيئة وما ينم عن هذا التفاعل من مراكز عمران وانشطة اقتصادية ومحددات ثقافية ومعتقدات دينية ومشاكل اجتماعية ، إذ نجد هذا المحتوى باتجاهاته متناثر بين طيات المؤلفات الجغرافية العربية الاسلامية والتي نتطرق إليها على النحو الآتي:

## الاتجاه الأول : دراسة السكان والبيئة

يعد تأثير العامل البيئي او الجغرافي على الإنسان والمجتمع عاملاً مهماً من عوامل التغيير الاجتماعي وكيف تترك الطبيعة بصماتها على النظم الاجتماعية والثقافية والعكس ايضاً أي تأثير الانسان على البيئة الطبيعية خاصة مع ازدياد العلم والمعرفة الإنسانية،(٩) تؤثر البيئة تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على حياة الإنسان فنوع العمران والحالة الاقتصادية والمهنية ونوعية الغذاء ما هي إلا نتاج البيئة بمكوناتها المختلفة كما ان السلوك البشري يتأثر بالبيئة ، وترتبط البيئة الاجتماعية بكل مكوناتها بالبيئة الطبيعية ارتباطاً وثيقاً وقد وجدت الكثير من الاشارات الى هذا التفاعل بين السكان والبيئة في المؤلفات الجغرافية للعرب المسلمين من خلال الحديث عن الاقاليم وتوزيعها وعن بداية الخلق ونشأة الأرض وعن مكونات الأرض وغيرها من العلاقات المتبادلة بين السكان والبيئة والتي يمكن التفصيل بها من خلال الآتي:

أ- خلق الانسان وانتشاره

معظم كتب الجغرافية الاجتماعية تهتم بكيفية خلق الانسان وانتشاره على سطح الأرض وكيف اخذ هذا الانتشار اشكالاً من الهجرات طوعية او قسرية بسبب الظروف غير الملائمة او بحثاً عن المأكل والملبس والامان ، نجد هذا الاهتمام ايضاً في معظم كتب الجغرافيين العرب المسلمين الذين حاولوا تفسير كيفية بدأ الخلق سواء أكان للأرض ام الإنسان الذي يعيش عليها ، ومعظم تلك الأفكار كانت تستند الى المعارف التي تناقلتها الحضارات وصولاً الى الحضارة الاسلامية التي فسرت بدأ الخليقة بشكل صحيح من خلال الآيات الكريمة للقرآن المجيد او الاستشهاد باحاديث الرسول محمد صلى الله عليه واله .

ذكر المسعودي عن بدأ الخلق ان الآراء كثيرة قائلاً: ((وما ذكرناه من الاخبار في مبدأ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف ، والباقي عن الماضي ، فعبرنا عنهم على حسب ما نقل إلينا من الفاظهم ووجدناه في كتبهم ، مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه)) [١٠] واشار ايضاً الى ان خلق الكون وما به هو من العدم إذ قال: ((اتفق اهل العلم جميعاً من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال ، وابتدعها من غير أصل)) [١١] اي من دخان ، ثم اشار الى قول لأمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام في كيفية دحو الأرض قائلاً: ((إن الله حين شاء تقدير الخليقة وذرء البرية وإبتداع المبدعات نصب الخلق في صور كالبهاء قبل دحو الأرض ورفع السماء ، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته))[١٢] اما عن خلق البشر فاعتمد على تفسير القرآن قائلاً: ((ثم شاء الله عز وجل أن يخلق آدم فقال للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تكون له ذرية ويفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً، ثم بعث الله جبرائيل الى الأرض ليأتيه بطين منها لخلق آدم))[١٣] وتحدث المسعودي في كتابه عن ولد ادم وكيف تكاثروا وانتشروا في الأرض والانبياء واعدادهم واسمائهم وكيف وصلت سلالة الانبياء الى نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم وقد اشار الى انواع الكتب السماوية التي نزلت على بني آدم ، وقد ذكر طبائع شعوب وعاداتهم في كثير من المواضع مثل الهند والصين والفرس والسريان واهل نينوى وغيرهم .

ب- العمران

اعتقد ابن خلدون ان الله الهمه العثور على علم فيه حقائق واضحة اسماه علم العمران إذ قال: ((وكان هذا علم مستقل بنفسه فأنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان او عقلياً واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وادى اليه الغوص))[١٤] وقد اوضح ابن خلدون أن فروع علمه الجديد تتعلق بالسكان والاستيطان وثقافة البدو وطبيعة معيشتهم والشعوب المتحضرة ومدنها والخلافة والحكومة وفروعها والصنائع والمهن ودراسة العلوم وكلها تصب كمفاهيم ومصطلحات بدراسة علاقة الافراد بالبيئة الطبيعية وهذا التنوع في الموضوعات وربطها بالعادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي للأفراد هو مجال ومحتوى الجغرافية الاجتماعية .

ظهر منهج التحليل السلوكي النفسي والاجتماعي لسكان البوادي والمدن في كتابات ابن خلدون في دراسة المدن واحوالها الاجتماعية والمعاشية والذي ارجع اختلاف طباع اهل الحضر عن البدو

الى اختلاف انماط المعيشة ويشير ابن خلدون في مقدمته في الفصل السابع بربط الحضارة بالنشاط الصناعي ولعله الاجتماعي الأول الذي جعل ديناميتها تتصل بالدولة ورسوخها إذ يقول : ((في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها))[١٥] وهذا الربط ينطوي على دلالتين الأولى كون الدولة هي مناط الصانع وغاية الحضارة ، فالظاهرة السياسية هي اسمى هدف للظاهرة الحضارية يظهر ذلك جلياً في التمركز المفرط الذي تبدو فيه الملازمة بين المركز السياسي والنشاط الحضاري واضحة تماما ، والثانية هي ربط الحضارة بالدولة بوصفها أقوى ظاهرة في العمران على الاطلاق ما يعني ان الحضارة هي صناعة القوة. [١٦] واشار البكري الى اهوية البلدان وكيف تؤثر في اختيار العيش فيها عندما وصف بلاد الاندلس وكيف هي بلاد يفضل العيش فيها إذ قال: ((والاندلس شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة للأول من اليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة)).[١٧]

اكد اخوان الصفا ان المناخ والتأثيرات الجوية وطبيعة الأرض ليست متشابهة في جميع البلدان إذ قالوا: ((واعلم يا اخي بان كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة ، الوفاً من المدن تزيد وتنقص ، وفي كل مدينة امم من الناس مختلفة السنتهم والوانهم وطباعهم وآدابهم ومذاهبهم واعمالهم وصنائعهم وعاداتهم، ولا يشبه بعضهم بعضاً وهكذا حكم حيواناتهم ومعادنهم ، مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة وسبب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها))[١٨] ومثال على ذلك قولهم في وصف الاقليم الرابع (اقليم البحر المتوسط): ((وأكثر أهل هذه البلدان الوانهم ما بين السمرة والبياض وهو اقليم الانبياء والحكماء لأنه وسط الاقاليم ... واهل هذا الاقليم اعدل الناس طباعاً واخلاقاً)).[١٩]

شرح ابن خلدون الحتمية الجغرافية واثرها حين ذكر خاصية اللون الاسود لبشرة الاقليم الأول إذ قال: ((ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة ، وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان يكون ولده عبيداً لولد اخوته لا غير ، وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات (الكائنات) ولذلك ان هذا اللون شمل أهل الاقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة قريبة إحداها من الاخرى ، فتطول المسامته عامة الفصول فيكثر الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لإفراط الحر))،[٢٠] بينما نجد وصفه للإقليمين السادس والسابع يختلف لاختلاف المناخ إذ يقول: ((شمل سكانهما البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال ، إذ

الشمس لا تزال بأفقهم في دائرة العين أو أقرب ولا ترتفع الى المسامته ولاما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور)).[٢١]

اما بالنسبة الى الدولة ففكرة نشوئها وارتفاعها وسقوطها لم تكن جديدة بل ذكرت في معظم كتابات العرب المسلمين فقد راقبوا الوضع السياسي في المجتمع الذي عاشوا فيه ولاحظوا النزاع على الحكم وتغير الحكام ، وقد اقتربت افكار اخوان الصفا وابن خلدون في حق الدولة تقييد سلوك رعيتها فكل منهما اتفق على منصب الامام ليس ضرورياً اذا كانت هناك قوانين الهية وعدالة انسانية كما ان كلاهما بحث في خصائص الحاكم الصالح والجائر ووصفوا الحكم الجائر بانه حكم الجبابرة ينهون عن المنكر ويرتكبون أبشع الجرائم او بتعبير أخر يبتعدون عن الدين ، فقد قال اخوان الصفا ان هناك دولة خير ودولة شر واكدوا مرارا على ن دولة الخير يبدأ اولها من قوم علماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ودين واحد ، إذ الدولة التي ليس لها دين تسير نحو الزوال ، وهكذا اهل الديانات يقتل بعضهم بعضاً طلباً للملك والرئاسة ، ثم اشاروا الى موضوع حب السيطرة والبقاء في الحكم وتخلص الحاكم ممن حوله وبهذا اتفق ابن خلدون واخوان الصفا على ان معظم الشرور التي تجري في المجتمع سببها رغبة الافراد في طلب شهوات الدنيا بما فيها منصب الرئاسة او الزعامة هذه الظاهرات ادت الى القول بمدينة فاضلة مثالية عند اخوان الصفا وليس عند ابن خلدون الذي اعتمد على الواقع الذي عاش فيه.[٢٢]

اما المدن ونشأتها فنجد ان المقدسي ميز بينها معتمداً على عدة شروط هي:[٢٣]

١- الوظيفة الادارية التي تتمتع بها سواء مقر الملوك والحكام والخلفاء او مجمع الدواوين مثل الفسطاط.

٢- الوظيفة الدينية مثل مكة المكرمة حيث خططت حول الكعبة المشرفة

٣- الوظيفة الثقافية والتي تتمثل بكثرة المشايخ والعلماء الذين يمثلون اساتذة النظام التعليمي السائد في ايام المقدسي عن طريق الحلقات التي يعقدونها بالمساجد والفتاوى التي يفتون بها الناس في مختلف قضاياهم

٤- الوظيفة الاقتصادية وتشمل الصناعات التي تشتهر بها وهي الصناعات اليدوية السائدة آنذاك كما تزدهر فيها التجارة وتكون محلاتها التجارية كبيرة ونشطة واسواقها عامرة بمختلف البضائع

٥- الوظيفة الخدمية حيث تتوفر فيها كافة الخدمات التي يحتاجها الناس مثل الحمامات والاسواق وغيرها

٦- الوظيفة السكنية حيث يكون فيها الاستيطان كافياً وبيوتها مبنية من البيئة المحلية من الخشب والطين والحجارة والآجر والجص كما يجتمع فيها السكان

اشار المقدسي الى جملة من العوامل ادت الى خراب واضمحلال المدن منها:[٢٤]

١- اهمال نظام الري ٢- كثرة الحروب والعصبيات (التعصب الديني او الاجتماعي) ٣- انتقال مركز الدولة ٤- ضعف الخلفاء واساءة الادارة ٦- الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والزلازل

نجد ان ابن خلدون قد ذكر خراب المدن في فصل بمقدمته بعنوان (في مبادئ الخراب في الامصار) ويذكر ان سبب خراب المدن قلة مراعاة حسن الاختيار للموضع والموقع معاً ، وعاب على العرب عدم مراعاتهم لمقومات نمو المدن التي انشأوها مثل الكوفة والقيروان وكيف انهم لم يراعوا في تخطيطها في البداية الا مراعي ابلهم وقربها من المناطق المقفرة فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها موارد تمد عمرانها من بعدهم وفسر ذلك بقوله: ((فقد كانت مواضعها غير طبيعية للقرار، ولم تكن في وسط الامم فيعمرها الناس ،فتعرضت للخراب والانحلال)).[٢٥]

شرح المسعودي في كتابه التنبيه والأشراف كيف ان للعوامل الطبيعية مثل طبيعة الأراضي المجاورة والمرتفعات والمنخفضات والقرب من الجبال والبحار وطبيعة التربة تحدد مواضع الاستقرار السكني للإنسان ويقول ان الارتفاع يجعل المدينة باردة بينما المنخفضات تجعل المدينة حارة واذا كانت الجبال واقعة في الناحية الجنوبية فهي تمنع هبوب الرياح الجنوبية من الوصول الى المدينة في حين ان الرياح الشمالية تهب عليها وتأتي معها بهواء بارد ، اما اذا كانت الجبال واقعة الى الشمال من المدينة فإن المكان يصبح حاراً وذلك لعدم وصول الرياح الشمالية ، واذا كان هناك بحر الى الجنوب من المدينة فأنها تتميز بزيادة الحرارة والرطوبة اما اذا كان هناك بحر واقعاً الى الشمال فانه يؤدي الى تبريد وجفاف الجو ، ومتى كانت التربة جصية (كلسية) اتصفت المدينة بارتفاع الحرارة والجفاف ، اما اذا كانت التربة طينية فيتميز المكان بالبرودة والرطوبة.[٢٦]

يعد ابن خلدون من ابرز الذين درسوا مواضع المدن في فصل خاص في كتابه بعنوان فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة فيقول: ((اعلم ان المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار، ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها أما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار ، وأن يكون وضع ذلك في متمنع من الأمكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على

العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ، ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض فان الهواء اذا كان راكداً خبيثاً او مجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكائنة فيه لا محالة ... وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب ، وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بأفريقيا ، فلا يكاد سكانها او طارقها يخلص من حمى العفن)).[٢٧]

اما تأثير الانسان على البيئة في اقامة المدن او القرى رغم بيئاتها الصعبة فنجد اشارات الى ذلك عند ذكر المدن عند الاصطخري قائلاً في وصف مدينة القلزم: ((وأما القلزم فإنها مدينة على شفير البحر، وينتهي هذا البحر اليها وهي عطف هذا البحر في اخر لسانه وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء، وانما يحمل لهم من ابار ومياه بعيدة منهم وهي تامة العمارة بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل حمولات الشام ومصر الى الحجاز واليمن))،[٢٨] ويتضح أثر العرب في تعديل البيئة الطبيعية للمكان على الرغم من كونه صحراوياً وتوفير متطلبات العيش من مياه وغذاء وجعله مدينة عامرة بالسكان لما له من موقع بحري يصل بين مصر والشام والحجاز واليمن ويؤدي خدمة تجارية جليلة،[٢٩] بينما اشار ابن حوقل الى موقع مدينة مكة قائلاً: ((وليس بمكة ماء جار الا شيء اجري اليها من عين قد كان عمل فيها بعض الولاة فاستتم في ايام المقتدر ويمنح الى مسيل قد جعل له باب بني شيبة في قناة عملت هناك وكانت اكثر مياههم من السماء الى مواجن وبرك كانت بها عامرة))،[٣٠] حيث مناخها الصحراوي الجاف لم يمنع السكان من استيطانها لأنها مدينة دينية مقدسة حاولوا ايصال المياه لها.

يذكر البكري رأي بعض الحكماء في كيفية تأثير البلاد واهوائها على السكان : ((أما الشام فتحت ركام وبح عمام ، تضفى الالوان ، ترطب الاجسام وتبلد الافهام ، اما ارض مصر: فهواؤها راكد وحرها متزايد ، تطول الاعمار وتسود الأبشار ، وتبلد الفطن وتذكى الاحن ، اما ارض اليمن : فتضعف الاجسام ، وتهذب الأحلام ، مغايضها خصبة وأطرافها جدبة ، واما الحجاز: فهواؤه حرور، وليله بهور، يشجع القلوب وينحف الجسوم وفي أهله غدر ، ولهم خب ومكر، ولديارهم في آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم من أمور تظهر واحوال تبهر، واما العراق: فقلب الارض ومسلك النور وقرارة النظارة ، ولأهله أعدل الألوان وأصفى الأذهان، واما الجبال: فتخشن الاجسام ، وتبلد الافهام وتميت الهمم وتفسد الشيم ، واما خرسان: فتعظم الأبدان وتكبر الهام وتلطف الافهام ولأهلها غوص وتفكير وروأى وتدبير)). [٣١] بينما وصف المقدسي البشاري لخصائل البشر بحسب البلدان وهذا بتأثير هواء البلد والظروف الاجتماعية قائلاً:((المروءة ببغداد ، والفصاحة بالكوفة، والصنعة

بالبصرة ، والتجارة بمصر ، والغدر بالري ، والجفاء بنيسابور ، والبخل بمرو والصلف ببلخ والحرفة بسمرقند)).[٣٢]

ج- الانشطة المعيشية

يخلق الانسان قيمة الأشياء ويعطي وجودها أهمية فالبيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة لا قيمة ولا أهمية بدون الانسان الذي يحول عناصرها الى موارد طبيعية تستغل في اشباع حاجاته وتحقيق رغباته.

يعتقد ابن خلدون ان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالي او حاجي هكذا كان الواقع في زمانه بين البدو وفي القرى النائية التي تفتقر الى التعليم العلمي ، فاذا اراد الناس هناك عليهم الذهاب الى المدن فيقول في ذلك : ((ان العلوم تكثر حيث يكثر العمران (السكان) وتعظم الحضارة ، والسبب في ذلك ان تعليم العلم من جملة الصنائع))،[٣٣] ويعلل ابن خلدون الحاجة الى الصنائع هي من متطلبات الإنسان وايضاً حاجته الى الغذاء وفي كل الاحتياجات تحصيل الانسان عليها قاصرة بمفرده فهو يحتاج الى الاخرين لتحقيق ذلك ومن ثم فهو بحاجة الى الاخرين باستمرار مما يتطلب اجتماع الناس وتعاونهم ، كما يحتاج اليهم في الدفاع عن نفسه بفكره ويده وذلك كله اساس العمران البشري في الأرض.[٣٤]

وضع اخوان الصفا انواع متعددة للصناعات قسموها عموماً الى قسمين الأول روحاني والثاني جسماني الاول في صناعة العلم والتعليم والثانية الصناعة العملية وقسمها الى بسيطة ومركبة البسيطة تشمل العمل في صناعة النار والهواء والماء والأرض ، بينما المركبة فتشمل العمل في صناعة الاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية.[٣٥] كما قسموا تلك الصنائع الى تابعة او خادمة والى متممة ومكملة والى جمال وزينة.[٣٦]

ذكر الجغرافيون المسلمون جوانب من المعلومات الاقتصادية مثل طرق كسب العيش عند الأمم والزراعة والتجارة وأنواع المعاملات والمقايضات والاوزان والمكاييل وانواع العملات المتداولة وكذلك الاسواق وما يتاجر فيها من مواد مثل سوق عدن وحضرموت ، وحددوا العملات التي يتعامل بها الناس بحسب الاقاليم والمدن فالنقود الورقية استعملت في الصين ، بينما الدينار والدرهم المصنوعان من الفضة والذهب استعملا في جزيرة العرب وبخارى .

اما بخصوص الزراعة والانتاج الزراعي التي تعد من الحرف الأساسية التي زاولها كثير من الناس في الدولة الاسلامية فلا غرابة والحال هذه ان تحظى الزراعة والنشاط الزراعي بقسط وافر من اهتمام الجغرافيين العرب والمسلمين ومنهم ياقوت الحموي الذي خصص لها حيزاً كبيراً في

مصنفه معجم البلدان من خلال ما ذكر من تعريفات للمواقع الجغرافية مثل التعريف بنهر النيل قائلاً: ((زعم انه ليس في الدنيا نهر أطول منه ، وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على نهر النيل ، ولا يجبى من خراج نهر ما يجبى من خراج ما يسقيه نهر النيل ، ذلك ان الحقول الزراعية التي يرويها مياه نهر النيل متصلة مع بعضها البعض)) [٣٧]

كما اشار المقدسي وهو يتحدث عن الكور والقصبات والمدن الى ما تشتهر به كل مدينة ، وما يشتهر به كل اقليم عن الاقاليم الأخرى مما يعطي صورة عن الزراعة في العالم الاسلامي ، وذكر لنا المقدسي انتشار الاسماك في كل المدن الساحلية والموانئ وانتشار تربية الحيوانات الرعوية في مناطق السهول مثل الرحاب التي تعيش حيواناتها على الرعي في تلك المراعي الواسعة ، وذكر ان في الجبال تكثر تربية النحل وقد وزع الثروة الحيوانية بحسب الاقاليم . واغلب ما ذكره المقدسي عن الصناعات اليدوية هي التي تختص بالمنسوجات والملابس والتي تسد الحاجة المحلية ويصدر منها ما يمتاز بالدقة والمهارة وخفة الوزن وغلاء الثمن والتي لها شهرة عالمية ، اما الصناعات الاخرى مثل معصرة الزيت وانتشارها في اماكن زراعة شجر الزيتون وايضاً صناعة الصابون والخزر والديباج وغيرها.

اما عن التجارة فيتضح ما ذكره المقدسي عن التجارة في العالم الاسلامي انها شملت مختلف انواع البضائع من المصنوعات الجلدية والغزول والنسيج والمواد الغذائية والجلود ومنتجات الحيوانات والمعادن والصناعات المعدنية المختلفة والسلاح والصناعات الزيتية والفواكه المجففة والحيوانات والعسل وغيرها من الصناعات المختلفة ، ويكاد لا يخلو اقليم من الاقاليم من بضائع يصدرها واخرى يستوردها مما يوضح الرخاء الذي كانت عليه الدولة الاسلامية آنذاك ، فضلاً عن الصلة الوثيقة التي كانت تربط اقاليم العالم الاسلامي فيما بينها مما يؤكد وجود تكامل اقتصادي بين اجزائه.[٣٨] بينما وصف البكري أهل (تشاد) من حيث كيفية العيش فيها وما التجارة التي يتاجرون بها قائلاً: ((وأهل تاد مكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء ، وعيشهم من اللحم واللبن ومن حب تنبته الأرض من غير اعتمال ، ويجلب لهم الذرة وسائر الحبوب من بلاد السودان ، ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولى وغير ذلك ،وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصاً أصفر وسراويل زرقاء ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة)).[٣٩]

ووردت عند ياقوت الحموي شذرات عن النشاط الصناعي في بلاد العرب بآسيا لاسيما العراق وبلاد الشام واليمن واشار الى وجود معدن الذهب في اليمامة وديار بني أسد وبني كلاب ، والنحاس قرب حلب ، والحديد باليمن والقار قرب هيت والموصل ، واشار الى عين نفط قرب خانقين والدربند

قبالتها في كل يوم الف درهم ، وبقربها ارض يضطرم فيها النار (وهذا يعني احتراق الغاز الذي يخرج من تلك الأرض) كما أشار الى الكبريت قرب الموصل. [٤٠] نخلص الى ان الجغرافيون المسلمون في مؤلفاتهم اشاروا الى العديد من الانشطة سواء أكانت زراعية ام صناعية وحرف وتجارية مختلفة ووزعوها في ارجاء الدولة الاسلامية بحسب الاقاليم والمدن والامصار وذكرو من ذلك صناعة الثياب وصباغتها والمواد التي تصنع منها سواء كانت من الصوف أو الوبر أو القطن أو الكتان أو الحرير او غيرها.

د- طرق النقل

يعد النقل سبباً ونتيجة للحضارة البشرية إذ ساهم تاريخياً في الاتصال بين الشعوب والاحتكاك وتبادل المعارف والآداب والفنون في ما بينها ، وهو نتيجة للحضارة البشرية وتقدمها فقد تبع تقدم الإنسان حضارياً تغلبه وانتصاره على العديد من مظاهر الصعوبة البيئية الطبيعية والتي تعترض مد خطوط وشبكات الطرق المختلفة .(٤١) وتختلف انماط النقل بأهميتها ولكن اهم الانماط التي ذكرت في مؤلفات العرب المسلمين هي (النقل البري والنقل النهري والنقل البحري) ، وقد اشار معظم الجغرافيون العرب الى أهم الطرق الرئيسة للتجارة منها: [٤٢]

١- طريق بغداد - الغرب مروراً بالأنبار وهيت والرقة وحمص ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والمغرب.

٢- طريق بغداد – الرقة مروراً بالموصل والردان والقادسية وسر من رأى والكرخ والزاب الاصغر والنصيبين.

٣- طريق بغداد – خرسان مروراً بالنهروان واصفهان وهمذان وقزوين والشاش ومرو وصولاً الى بلخ

اصبح الاهتمام بالرقعة الجغرافية جزء مهماً من العمل الاداري للدولة الاسلامية وصار وصف الاقاليم والعناية بها جزء من اخبار الفتوح والمغازي والتنظيم فبدأ الاهتمام بوصف الطرق بين مدن ومفازات تلك الاقاليم ولاسيما في كتب المسالك والممالك وكتاب صورة الارض للاصطخري وغيرها من الكتب التي تحدثت بشكل مفرط عن هذه الطرق ، مثال على ذلك وصف البكري طرق متعددة في مؤلفه منها طريق اسوان الى عيذاب : ((طريق يعرف بالوضح وهو ثماني عشرة مرحلة في قفر ورمال ليس فيها عمران ، وهي رمال قليلة الماء، متهيلة تمور مع الرياح فتعفى الآثار، ولا يهتدى فيها لمسلك ولا سبيل ، انما يقتدي فيها الجمالون بإبل معروفة ، يقدمونها فيهتدون بها)) [٤٣]

**الاتجاه الثاني : اشارات حول اللغة**

تشكل اللغة أحد أركان النشأة الاجتماعية في المجتمعات البشرية لدورها الفاعل في تأكيد سبل التعايش وتواصل الحياة بين البشر وخاصة انها تعد أداة ترسيخ القيم والمفاهيم ووسيلة التعبير عن الاحاسيس والرغبات والاحتياجات وبالتالي تحدد المواقف ، وهي وسيلة التخيل والابداع الفكري وترجمة الاحاسيس وانتقال الافكار لذا تشكل احد اسس التراث البشري ومستودع تجاربه مهما تباين مكانياً من اقليم الى آخر وزمانياً من مدة لأخرى وهو ما اختص به البشر دون سائر المخلوقات. (٤٤)

اعتبر ابن خلدون اللغة عاملاً مهماً في التنشئة الاجتماعية حيث قال: ((لو فرضنا ان صبياً (من العرب) نشأ وربي في جيلهم (الاجانب) فأنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها))،(٤٥) واكد ايضاً على اهمية اللغة في التعبير عن مشاعره ورغباته حيث قال: ((الناس محتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع))،(٤٦) وذكر ابن خلدون في مقدمته اسباب فساد اللغة العربية لكثرة المخالطين للعرب من العجم فقال: ((إن لغة قريش هي افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم وكلما بعدت القبائل عن قريش وجاورت امم الفرس والروم والحبشة كلما قلت فصاحة لغتهم)).(٤٧)

ان للعرب اهتمام كبير لدراسة اللغات وقد وردت اشارات متعددة في مؤلفاتهم حول اللغات واللهجات التي يتمتع فيها الناس بحسب الاقاليم التي درسوها ومن تلك الاشارات ما ذكره البكري بعض صفات الناس في بلاد الافرنجة يطلق عليهم اسم البرتونين إذ قال: ((لهم لغة تُمجُّها الأسماع ، ومناظر قبيحة ، واخلاق سيئة ، وهم لصوص يقطعون على الأفرنج ويسرقونهم والافرنج يصلبونهم اذا ظفروا منهم بأحد))،(٤٨) كما وصف المقدسي كلام اهل نيسابور من اقليم جيحون قائلاً: ((والسنتهم مختلفة اما لسان نيسابور ففصيح مفهوم غير انهم يكسرون اوائل الكلم ويزيدون الياء ... ويزيدون السين بلا فائدة ، واهل طوس احسن لساناً وفي كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجونه من صدورهم ويجهرون فيه))، (٤٩) وذكر لغة أهل جزيرة العرب قائلاً: ((أهل هذا الاقليم لغتهم العربية إلا بصحار فان نداهم وكلامهم بالفارسية واكثر أهل عدن وجدة فرس)).(٥٠)

## الاتجاه الثالث : اشارات حول الدين

يعد الدين أحد القوى المحركة للفكر البشري والمكونة للحضارة الانسانية بل والمسيرة للعديد من القيم والمفاهيم التي تنعكس على البشر في مجالات العلاقات والتراث والانجازات بمختلف محاورها التي تشمل السلوك اللغة المعرفة الآداب الفنون واحياناً بعض الحروب ، والدين بمثابة أداة روحانية لبناء القيم البشرية واحداث تعديلات داخلية ايجابية في النفس البشرية بحيث تسعى الى الخير والحق والاحساس بالمسؤولية تجاه كل من النفس والاسرة والمجتمع بعامة ، ويمكن تعريفه

بأنه الايمان بالله الهادي الى السلوك البشري الصائب في الحياة لذلك فالعبادة في اللغة هي الخضوع للإله على وجه التعظيم ، وتتعدد شعائر الاديان او العبادات الا ان الصلاة تتصدرها ويمكن تصنيف الأديان تبعاً الى طبيعة الشعائر والتوزيع المكاني والانتشار الى : ((الأديان السماوية ، الأديان غير السماوية ، العقائد او الشعائر القبلية ، الأديان المحلية)).[٥١]

الدين وسيلة للضبط الاجتماعي ولكن الاخير ليس بالضرورة ينتج بسبب الدين لان هناك مجتمعات عاشت وتعيش بدون اديان وفسر ذلك ابن خلدون قائلاً: ((إذ الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبية التي يقدر بها على قهرهم وحملهم على جادته))،[٥٢] وبرأي ابن خلدون فان الضبط الاجتماعي يتكون من نوعين ديني وسياسي ويعد هو اول من استعمل مصطلح العصبية المشتق من الكلمة العربية عصب او عصابة أي ربط الأفراد بجماعة معينة.

اهتم الجغرافيون العرب في الاشارة الى الديانات المتعددة وتوزيعها بحسب الاقاليم إذ وصف البكري الناس من الصابئة في بلد الجليقين في بلاد اوروبا حيث قال: ((وأهله أهل غدر ودناءة أخلاق لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام الا مرة او مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها الى أن تنقطع عليهم ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم اجسامهم وتصح أبدانهم، وثيابهم أضيق الثياب)).[٥٣] بينما تحدث المقدسي عن مذاهب اقليم مصر قائلاً: ((وهم على مذاهب أهل الشام غير ان أكثر فقهائهم مالكيون الا ترى انهم يصلون قدام الامام ويربون الكلاب ، واهل صندفا شيعة وسائر المذاهب بالفسطاط ظاهرة))،[٥٤] وعن مذاهب اهل اقليم المغرب وذكر انها ثلاث مذاهب وهي : (( المذهب المالكي والشافعي والفاطمي)) وفي موقع اخر ذكر صفة مذاهب الاسلام بشكل عام إذ قال: ((اعلم ان المذاهب المستعملة اليوم في الاسلام التي لها خاص وعام ودعاة وجمع ثمانية وعشرون مذهباً)) [٥٥] واشار الى الاديان بشكل عام وصنفها قائلاً: ((واما الاديان الذين هم ذمة فاربعة اليهود والنصارى والمجوس والصابئة)).[٥٦]

اما الدين الاسلامي وشعار لا اكراه في الدين هذا ما امر به العرب القرآن الكريم وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الاسلام فالمسيحيون واليهود الذين لاقوا قبل الاسلام ابشع أمثلة التعصب الديني وافظعها سمح لهم دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم واحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى ، أوليس هذا منتهى التسامح ؟ إذ كتب (بطريرك بيت المقدس الى اخيه بطريرك القسطنطينية) عن العرب قائلاً: ((انهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البته ، وهم لا يستخدمون معنا العنف)). [٥٧] ففي كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع ((تعلم وزد معارفك قدر إمكانك وأينما استطعت)).[٥٨]

حيث كانت المساجد ليست مجرد اماكن تؤدي فيها الصلوات فحسب بل كانت منبراً للعلوم والمعارف كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الاعمى ، وحول اعمدة الجامع كان يجلس الاستاذ ويلتف حوله الطلبة ، حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء رجلاً كان ام امرأة ولكل الحق في سؤال الأستاذ او مقاطعته معارضاً.(٥٩)

كفلت حضارة الاسلام العظيمة للبشر كل ما يحتاجونه في مجتمعهم من خلال الاسس والمرتكزات التي وضعها الدين الاسلامي وهي: (٦٠)

١- حرمة الدم وحفظ حق الحياة ٢-حرمة العرض فصان للفرد حق الكرامة ٣- حرمة المال وحق التملك ٤- حرمة البيوت وحق الاستقرار النفسي ٥- حرية الفكر والاعتقاد والتعبير ٦- حق المعارضة والنصيحة

٧- حق القضاء والقصاص العدل ٨- حق التعلم حتى وقت الحرب ٩- حق العمل ١٠- حق التجمع لعمل الخير ونبذ التجمع للشر ١١- ثبت حقوق الزواج والمرأة والميراث ونظام الأسرة

## الاتجاه الرابع : اشارات حول الجريمة

تعد جغرافية الجريمة الحضرية من الاتجاهات الجغرافية الأكثر حداثة بين الاتجاهات الجغرافية المعاصرة والتي تأتي ضمن الإطار العام للجغرافيا الاجتماعية والتي تركز بدورها على دراسة الظاهرات الاجتماعية في اطارها المكاني وتحليل المشهد الحضري، فقد ادى التوسع الحضري المتزايد الى زيادة الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية التي حظيت باهتمام بعض الجغرافيين الذين سعوا الى دراسة ومجابهة هذه المشاكل (الفقر الجريمة المشاكل الصحية والاثنية وغيرها) من منظور مكاني.(٦١)

لم تكن اشارات العرب المسلمين الى الجريمة واضحة في مؤلفاتهم لكن نجد بعض الومضات التي تعني انهم اهتموا بمثل هذا الموضوع الاجتماعي وحاولوا الاشارة الى كيفية العقاب وانواعه للجرائم التي تحدث عند الشعوب القديمة ومقارنتها مع منهج الاسلام في العقاب حيث وصف البكري كيفية الحكم بالماء في بلاد غانة : ((وببلاد غانة حكم الماء ، وذلك أنه من ادعى عليه بمال او دم او غير ذلك عمد أمينهم الى عود فيه حرافة ومرارة ورقة ، وصب عليه من الماء قدراً معلوماً وسقاه المدعي عليه ، فإن رماه من جوفه علم أنه برئ وهنئ بذلك ، وان لم يرمه وبقى في جوفه صحت الدعوى عليه))،(٦٢) وذكر ايضاً حكم السارق والزاني في بلاد السودان قائلاً: ((ان يخير صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله ، وحكمهم في الزنى ان يسلخ من جلده)).(٦٣) اما في الاسلام فقد تحدثوا عن ذلك كثيراً ولكن كلها نابعة من الآيات الكريمة في القرآن والاحاديث النبوية فهم

يشيرون الى ان الكمال هو في الدين الاسلامي وكيف ان نشره على الامم هو ما قلل من الفحشاء والمنكر وما سمى بالإنسانية الى الرقي .

## نتائج البحث

١- تحقق البحث من صحة الفرضية التي وضعت وهي ان للعرب المسلمين السبق في ولادة البوادر الاولى لفرع الجغرافية الاجتماعية .

٢- من خلال محتوى البحث وجدت اشارات في مؤلفات العرب المسلمين حول موضوعات الجغرافية الاجتماعية ومحتواها ومجالها وحتى منهجها لأنها نابعة من مناهج الجغرافية البشرية التي أهتم بها العرب المسلمين واعطوها حيزاً واسعاً في كتاباتهم

٣- كشف البحث عن التأثير المتبادل بين السكان والبيئة وهو محور اهتمام الجغرافية الاجتماعية ووجدت اشارات الى ذلك في كتابات الجغرافيين العرب المسلمين الموسوعية.

٤- حاز موضوع الانشطة المعيشية او الاقتصادية على اهتمام الجغرافيين العرب المسلمين لما لها من دور كبير في تحقيق الرفاه للمجتمع البشري وهي تقوم باستغلال موارد الطبيعة لأجل ذلك وهذا نوع من التأثير المتبادل بين الانسان والطبيعة .

٥- توصل البحث الى ان اقل موضوع اهتم به الجغرافيين العرب المسلمين هو الجريمة لانهم كان يعتقدون ان نشر الاسلام وان مبدأ النهي عن المنكر كفيلان بان تقل الجريمة لاسيما في بلاد المسلمين ولكن لم تخلوا بعض الاشارات حول مقتل بعض الاشخاص او السرقة او الزنا والاشارة الى العقوبات على هذه الافعال سواء في العالم الاسلامي او في عوالم اخرى غير مسلمة.

## هوامش البحث

(١) ليلى بنت صالح زعزوع ، مقدمة في الجغرافية الاجتماعية، ط٢، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ٢٠٠٧، ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٥.

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٦.

(٥) باسم عبد العزيز عمر العثمان وحسين عليوي ناصر ، الجغرافية الاجتماعية مبادئ واسس وتطبيقات ، ط١، دار الوضاح للنشر ، عمان ، ٢٠١٤، ص٥٧.

(٦) ليلى بنت صالح زعزوع ، مصدر سابق ، ص٤٥.

(٧) المصدر نفسه ، ص٤٧.

(٨) باسم عبد العزيز عمر الثمان وحسين عليوي ناصر ، مصدر سابق ، ص١٠٨.

(٩) حيدر ابراهيم علي ، التغير الاجتماعي والتنمية (مدخل نظري)، ط٢، مكتبة الامارات للخدمات الثقافية والفنية ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٥، ص٣٠.

(١٠) ابي الحسن بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١، المطبعة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص٢٦.

(١١) المصدر نفسه ، ص٢٤.

(١٢) المصدر نفسه ، ص٢٤.

(١٣) المصدر نفسه ، ص٢٥.

(١٤) عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط١، المطبعة الخيرية للنشر والتوزيع ، مصر ، ١٣٢٢ه ص٣٨.

(١٥) المصدر نفسه ، ص٤٠٨

(١٦) ادريس هاني ، تعدد الثقافات وآفاق الحوار الحضاري ، مركز دراسات فلسفة الدين ، دار الكتاب العربي للطباعة والتوزيع ، بغداد ، ٢٠٠٥، ص١٦٨-١٦٩.

(١٧) أبي عبيد الله البكري ، المسالك والممالك ، تحقيق : جمال طلبه ، المجلد الثاني ، ط١، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣، ص٣٨٣

(١٨) اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، ط١، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٦، ص١٧٩.

(١٩) المصدر نفسه ، ص١٧٥.

(٢٠) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص٨٣.

(٢١) المصدر نفسه ، ص٨٤.

(٢٢) فؤاد البعلي ، اخوان الصفاء وابن خلدون دراسة مقارنة في الفكر الاجتماعي ، مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١١، ص١٧٥.

(٢٣) فلاح شاكر اسود ، المقدسي ، دار الشوؤن الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٧١.

(٢٤) المصدر نفسه ، ص١٢٢.

(٢٥) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص٣٥٩.

(٢٦) ضياء الدين عليوي ، الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجري) ترجمة: عبد الله يوسف غنيم وطه محمد جاد، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، ١٩٨٠، ص١٣٩.

(٢٧) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص٣٧٤.

(٢٨) ابي اسحاق ابراهيم الاصطخري، المسالك والممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال، منشورات دار القلم ، القاهرة، ١٩٦١، ص٣٠.

(٢٩) شفاء حسين الجابري ، الملامح البيئية في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي من القرن (الرابع) الهجري وحتى نهاية القرن (السادس) الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣، ص٦٨.

(٣٠) ابي القاسم ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، ط٢، مطبعة بريل ، ليدن ، منشورات دار صادر ،بيروت ، ١٩٢٨، ص٣٠.

(٣١) البكري ، مصدر سابق ، ص٥٩

(٣٢) شمس الدين أبي عبد الله المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، علق عليه : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣، ص٣٣.

(٣٣) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص٤١.

(٣٤) فتحي محمد ابو عيانة دراسات في التراث الجغرافي العربي ، ط١، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٥، ص١٦٨.

(٣٥) اخوان الصفا ، مصدر سابق ، ص٢٨٠.

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٢٨٥.

(٣٧) ابو عبد الله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد (٤) دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦، ص٤٢٥.

(٣٨) فلاح شاكر اسود ، مصدر سابق ، ص١٤٧.

(٣٩) البكري ، مصدر سابق ، ص٣٧٠

(٤٠) حمدان عبد المجيد الكبيسي ، الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (٥٦٢٦) ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص١٤.

(٤١) محمد خميس الزوكه ، الجغرافيا الحضارية ، ط١، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ٢٠٠٨، ص٦٣-٦٤.

(٤٢) ضياء الدين عليوي، مصدر سابق ، ص١٩١.

(٤٣) البكري ، مصدر سابق ، ص١٥٣

(٤٤) محمد خميس الزوكه ، مصدر سابق ، ص١٦.

(٤٥) ابن خلدون ، مصر سابق ، ص٣٩.

(٤٦) المصدر نفسه ، ص٣٩.

(٤٧) المصدر نفسه ، ص٥٤٥.

(٤٨) البكري ، مصدر سابق ، ص٤٠٠.

(٤٩) المقدسي ، مصدر سابق ، ص٢٥٦

(٥٠) المصدر نفسه ، ص٩٧

(٥١) محمد خميس الزوكه ، مصدر سابق ، ص٣٩-٤٠.

(٥٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص٤٣.

(٥٣) البكري ، مصدر سابق ، ص٣٩٩

(٥٤) المقدسي ، مصدر سابق ، ص١٦٩

(٥٥) المصدر نفسه ، ص٣٦

(٥٦) المصدر نفسه ، ص٣٧

(٥٧) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ط٨، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الآفاق الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣، ص٣٦٤.

(٥٨) المصدر نفسه ، ص٣٧٣.

(٥٩) المصدر نفسه ، ص٣٩٦.

(٦٠) خالد فائق العبيدي ، الاقتصاد والاجتماع ، سلسلة ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوية ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٥، ص٢٥-٣٢.

(٦١) ديفيد هربرت ، جغرافية الجريمة الحضرية ، ترجمة: ليلى بنت صالح زعزوع ، دار العربية للعلوم بيروت ، ٢٠٠١، ص١٧-١٨.

(٦٢) البكري ، مصدر سابق ، ص٣٦٧

(٦٣) البكري ، مصدر سابق ، ص٣٦١

## مصادر البحث


١. ابو عبد الله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد (٤) دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦.
٢. ابي اسحاق ابراهيم الاصطخري، المسالك والممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال، منشورات دار القلم ، القاهرة، ١٩٦١.
٣. ابي الحسن بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١، المطبعة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧.
٤. ابي القاسم ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، ط٢، مطبعة بريل ، ليدن ، منشورات دار صادر ،بيروت ، ١٩٢٨.
٥. أبي عبيد الله البكري ، المسالك والممالك ، تحقيق : جمال طلبه ، المجلد الثاني ، ط١، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣.
٦. اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، ط١، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٦.
٧. ادريس هاني ، تعدد الثقافات وآفاق الحوار الحضاري ، مركز دراسات فلسفة الدين ، دار الكتاب العربي للطباعة والتوزيع ، بغداد ، ٢٠٠٥.
٨. باسم عبد العزيز عمر العثمان وحسين عليوي ناصر ، الجغرافية الاجتماعية مبادئ واسس وتطبيقات ، ط١، دار الوضاح للنشر ، عمان ، ٢٠١٤.
٩. حمدان عبد المجيد الكبيسي ، الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦ه) ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠١١.
١٠. حيدر ابراهيم علي ، التغير الاجتماعي والتنمية (مدخل نظري)، ط٢، مكتبة الامارات للخدمات الثقافية والفنية ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٥.
١١. خالد فائق العبيدي ، الاقتصاد والاجتماع ، سلسلة ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوية ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٥.

١٢. ديفيد هربرت ، جغرافية الجريمة الحضرية ، ترجمة: ليلى بنت صالح زعزوع ، دار العربية للعلوم بيروت ، ٢٠٠١.
١٣. زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ط٨، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الآفاق الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣.
١٤. شفاء حسين الجابري ، الملامح البيئية في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي من القرن (الرابع) الهجري وحتى نهاية القرن (السادس) الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣.
١٥. شمس الدين أبي عبد الله المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، علق عليه : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣.
١٦. ضياء الدين عليوي ، الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجري) ترجمة: عبد الله يوسف غنيم وطه محمد جاد، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، ١٩٨٠.
١٧. عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط١، المطبعة الخيرية للنشر والتوزيع ، مصر ، ١٣٢٢ه.
١٨. فتحي محمد ابو عيانة دراسات في التراث الجغرافي العربي ، ط١، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٥.
١٩. فلاح شاكر اسود ، المقدسي ، دار الشوؤن الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨.
٢٠. فؤاد البعلي ، اخوان الصفاء وابن خلدون دراسة مقارنة في الفكر الاجتماعي ، مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١١.
٢١. ليلى بنت صالح زعزوع ، مقدمة في الجغرافية الاجتماعية، ط٢، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ٢٠٠٧.
٢٢. محمد خميس الزوكه ، الجغرافيا الحضارية ، ط١، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ٢٠٠٨.

## Abstract

The Subject of the research is the study of some Arab Islamic origins for the attention of the human socially and its system and human behavior affected by the natural environment.

These topics are flashes of sociology and geography to generate a geography branch which in contemporary time has its own concept and its field and methodology is a branch of social geography that gradually emerged from the concept and content of human geography it does not deviate from its curriculum.

The research conceded to confirm the existence of such studies in the writings of Arab Muslims, whether the books were written tracts or kingdoms or dictionaries or books of territories or geography, whaterer their names they include information encyclopedic and this was Dab ham in the literature they want the Perfection of know ledge, In the state and cities and how to choose the appropriate location and link others to the emergence of cities industrial characters and stressed that it is the basis of urbanization and the door of civilization.